وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
هدى الناس
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

ضمان الهدي القرآني لبناء الأسرة وعلاج مشكلات الإنسان

اسم الباحث/ـة

د/ أحمد حميد أوغلوا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم. أما بعد:

فالأسرة هي اللبنة الأولى في جسم المجتمع، وهي المجتمع المصغر، فإذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع، فهي الأمة الصغيرة، حيث يتعلم الإنسان فيها أفضل أخلاقه الاجتماعية، فلا أمة بدون أسرة، ولا يوجد نظام أولى الأسرة رعايته واهتمامه كما أولاها القرآن الكريم، فشملها بتوجيهاته وبيان كل ما يتعلق بها منذ قيامها ونشأتها، فبيّن القواعد السليمة التي تكفل نشأة الأسرة على أسس سليمة صحيحة، ترفع من مستواها وتوثق علاقتها بربها. ولأهمية الأسرة حث الإسلام على تكوينها، ودعا إلى أن يعيش الناس في ظلها، فهي الصورة الطبيعية للحياة المستقيمة التي تلبي رغبات الإنسان وتفي بحاجاته، وتناسب الوضع الفطري الذي ارتضاه الله لحياة الناس منذ فجر الخليقة. ولما كانت الأسرة هي اللبنة الأساسية في البناء الاجتماعي، وجدنا أن القرآن الكريم قد وضع النظم والضوابط الشرعية لتكوينها، وشرّع الأحكام والمبادئ والقوانين لاستمرارها واستقرارها، ووضع المعالجات لما يعتريها من مشاكل وانحرافات.

وأنا من خلال مؤتمركم الموقر الموسوم بـ "هدايات القرآن في بناء الإنسان" وتحت محور: "بناء الإنسان: مفهومه، أركانه، مجالاته في ضوء هدايات القرآن " أقدم لكم بحثي المتواضع الموسوم بـ: " ضمان الهدي القرآني لبناء الأسرة وعلاج مشكلات الإنسان" وقد بينت من خلاله أهم الركائز الأساسية لبناء المجتمع الإنساني، حيث يبدأ بناء المجتمع الإنساني من اللبنة الأولى وهي الأسرة التي تُعد المجتمع المصغر، فلابد من العمل على إعداد الأسرة ونشأتها نشأة صحيحة، من خلال التركيز على الأسس التي حددتها الشريعة الإسلامية التي أسست ركائزها من الهدي القرآني الكريم الذي نسعى من خلاله إلى إصلاح

المجتمع وحل مشكلاته، إذ إن الأسرة تُشكل النسبة الكُبرى لنجاح المجتمع أو فشله؛ لأنها النواة الأولى في دعم إصلاح المجتمعات ، لأن من خلالها سيوجد إنسان صالح متسامح يعرف ماله وما عليه في المجتمع، وهنا لابد من بيان المشكلات التي تعرقل وتدمر نهوض المجتمعات، والسعي الى إيجاد الحلول الناجعة لتداركها والحد منها، وذلك من خلال القرآن الكريم، الذي ضمن لنا إيجاد كافة السبل لحل المشكلات، كما بين ذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في موعظته لأصحابه: فعن عبد الرحمن بن عمرو السلمي، أنه سمع العرباض بن سارية، قال وعظَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه واله وسلَّمَ مَوعظةً ذَرَفَتْ منها العيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ فقلنا يا رسولَ اللهِ إنَّ هذه لموعِظَةَ مُوَدِّعٍ فماذا تعهَدُ إلينا ؟ فقال: " تركتُكم على البيضاءِ ليلِها كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالِكٌ، ومن يَعِشْ منكم فسَيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بما عرَفتُم من سُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ المهدِيِّينَ الرَّاشدينَ. وعليكم بالطاعةِ وإن كان عبدًا حبشيًّا عَضُّوا عليها بالنَّواجذِ فإنما المؤمنُ كالجملِ الأَنِفِ كلما قِيدَ انقَادَ" [1].

ومن خلال ما تقدم تظهر لنا أهمية الموضوع، فللأسرة مكانة مهمة في المجتمعات، والدور الذي يقع على عاتقها في الحفاظ على تهذيب الإنسان كبير.

وكانت طبيعة البحث أن يقسم الى مقدمة ومبحثين. أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع وخطة البحث.

وأما المبحث الأول فكان التعريف بالعنوان: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان مفهوم الأسرة.

والمطلب الثاني: أهمية تكوين الأسرة في القرآن الكريم.

---

[1] الحديث في مسند الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، آخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، ٣٦٧/٢٨، برقم: ١٧١٤٢.

وأما المبحث الثاني فكان: ضوابط تكوين الأسرة وأهم الحلول لمشكلاتها من خلال الهدي القرآني. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ضوابط تكوين الأسرة في القرآن الكريم.

والمطلب الثاني: تناولت فيه أهم الحلول لمشكلات الأسرة من خلال القرآن الكريم.

ثم جاءت الخاتمة بأهم ما توصل اليه البحث من نتائج وتوصيات.

المبحث الأول: الأسرة وأهميتها في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الأسرة:

أولاً: الأسرة لغة: الأُسرة، بالضم: الدرع الحصينة، وهم الرجل وعشيرته[١]؛ لأنه يتقوى بهم، كما قاله الجوهري. وقال أبو جعفر النحاس: الأسرة، بالضم: أقارب الرجل من قبل أبيه[٢]، وعلى هذا فالإنسان لا يكون قوياً عزيزاً إلا بأهله وبوجود من يحتضنه ويمنع عنه الأذى[٣]، والأسرة هي العائلة الكبير وانتمائه وهذا المعنى يعني قوة للفرد بشعور الانتماء لقبيلته. وتأتي بمعنى الحبس والقوة والإمساك[٤]، والتي منها معنى الأسير، كما في قوله تعالى: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإنسان: ٢٨]

ثانياً: الأسرة اصطلاحاً: لفظ الأسرة مفهوم عام وشامل يحتوي معان عدة كلها تدل على معنى الأسرة، والقرآن الكريم لم يورد هذا المعنى بلفظه الصريح (الأسرة)، بل ذكر الله سبحان وتعالى ألفاظاً مرادفة تحمل المعنى نفسه، ومن هذه الألفاظ المرادفة (الأهل) و(آل) فهذين اللفظين من اقرب الألفاظ الدالة على معنى الأسرة ، **ولعل أقرب ما يلامس مفهوم الأسرة** : أنها مجموعة أحكام ومبادئ وقواعد تتناولها الأسرة بالتنظيم بدءاً من تكوينها وحتى استقرارها ، وانتهاء بتفرقها، وما يترتب على كل ذلك من آثار ، عمداً الى إرسائها على أسس متينة تكفل ديمومتها واعطائها

---

(١) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ١/١٧.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (د.ط)، (د.ت)، ١٠/٥١. المكتبة الشاملة.

(٣) مادة أسره، كتاب الأفعال، لأبي عثمان سعيد السرقسطي، تحقيق: حسين محم شرف، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط١، (د.ت)، ١/٦٠٨.

(٤) المعجم الكبير – مجمع اللغة العربية، مادة أسر، مطبعة دار الكتب، (د.ظ)، ١٩٧٠م، ١/٢٧٥-٢٧٨.

الثمرات الخيرة "[1]

المطلب الثاني: أهمية تكوين الأسرة في القرآن الكريم:

الأسرة هي الوحدة الأولى للمجتمع وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً، ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه[2]. ولهذا ينظر الإسلام للأسرة على أنها نواة المجتمع والمكوّن الأساس له، والبيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الإنسان فتؤثر عليه سلباً أو إيجاباً، يقول الرسول ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[3].

وسر اعتناء الشريعة الإسلامية بالأسرة الإسلامية ورعايتها من عوامل الهدم والانحدار، يأتي ذلك من أجل العناية بتوثيق عراها، وتثبيت بنيانها، وحمايتها من جميع المؤثرات التي تهدم هذا البناء، وفي أول هذه المؤثرات مجانبة الفطرة، وتجاهل استعدادات الرجل، واستعدادات المرأة، وتناسق هذه الاستعدادات مع بعضها البعض، وتكاملها لإقامة الأسرة من ذكر وأنثى.ولذلك عندما نمعن النظر في سورة النساء مثلاً، وفي غيرها من السور، نرى تلك المظاهر واضحة بالعناية بالأسرة في النظام الإسلامي، وكيف يبني الأسرة بناءً قوياً، وذلك من خلال منظومة تشريعية دقيقة ومفصلة، حتى إننا لنرى آيات تنظيم الشأن الأسري في القرآن الكريم برمته تفوق من حيث العدد آيات المعاملات المالية، مع كثرة تلك المعاملات وتنوعها، وفي ذلك برهان جليٌّ على أن هذه الخلية البشرية تستحق كل هذه العناية والرعاية من الشريعة الإسلامية.وهذا الأمر يظهر جلياً في بداية سورة النساء الآية الأولى منها في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

---

[1] ينظر: نظام الأسرة في الإسلام

[2] ينظر: نظام الأسرة في الإسلام، لمحمد عقلة، ص١٧.

[3] الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه رقم٢٦٥٨ – ٢٠٤٧/٤.

ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ [النساء: ١]. ففي هذه الآية الكريمة يتبين لنا بأن أساس الحياة البشرية قائمة على بناء وتكوين الأسرة، فبيّن تعالى أن هذه النبتة في الأرض بدأت بأسرة واحدة، فخلق ابتداءاً نفساً واحدة، وخلق منها زوجها، وبعدها ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ ﴾ [النساء: ١] ولو شاء الله لخلق في أول النشأة رجالاً كثيراً ونساءً، وزوجهم فكانوا أسراً شتى من أول الطريق، ولكن شاءت قدرة الله سبحانه أن يكون أصل الأسرة من أصل واحد ونفس واحدة وذلك لزيادة الترابط والتوادد والتعاطف بين الأسر جميعاً.

وتظهر تلك العناية الإلهية واضحة جلية في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾ [الروم: ٢١] .فالقرآن الكريم وصف هذه الرابطة بأنها تزيد جوانب النعمة، وتلمس وجه الأنس، وتثمر فيها الثمرات الدينية والدنيوية، وكلما كان الترابط أعمق، كان الاعتزاز بهذا الرباط أوثق، والحرص على بقائه متيناً قوياً أشد، ثم يمتد هذا الاعتزاز والتقدير إلى محيط الأسرة الواسع، إذ الأسرة في الإسلام لا تقتصر على الزوجين والأولاد فقط، وإنما تمتد إلى شبكة واسعة من ذوي القربى. ومن المواضع المهمة التي تبين العناية الإلهية بالأسرة في الإسلام، ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤ ﴾ [الفرقان: ٧٤] .

ومما سبق يتضح: أن الأسرة في القرآن الكريم ليست آباءً وأبناءً وأحفاداً فقط، وإنما هي مجموعة تجمعهم عقيدة واحدة، وإن الأمة ليست مجموعة أجيال متتابعة من جنس معين، إنما هي مجموعة من المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم وأوطانهم وألوانهم، وهذا التصور الإيماني الذي ينبثق من خلال البيان الرباني في كتاب الله الكريم.

المبحث الثاني: ضوابط تكوين الأسرة
وأهم الحلول لمشكلاتها من خلال الهدي القرآني.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ضوابط تكوين الأسرة في القرآن الكريم:

الأسرة كيان مقدّس في الشريعة الإسلامية، وهي اللبنة الصالحة الأساسية في بناء المجتمع الإنساني السليم، ولأجل ذلك جعل الإسلام لبنائها الأولوية، وأحاط إنشاءها بأحكام وآداب تكفل أن يكون البناء متماسكاً قوياً، يحقق الغاية الكبرى من وجوده[١].

وقد جعل الله تعالى للرجل والمرأة دورين متكاملين يكمل أحدهما الآخر، ولا يطمئن أحدهما إلا بالآخر، ولا يزالان في قلق واضطراب حتى يلتقيا ويدخلا معاً في مجتمع السكينة والطمأنينة، وطبقاً لهذه العلاقة التكاملية يمكن للبيوت أن تشاد، وللأسر أن تزدهر، وللمجتمعات السعيدة أن تؤسَّس[٢].

ولهذا نجد كثيراً من الضوابط التي تسهم في تكوين الأسرة الصالحة في ضوء القرآن الكريم، فمن هذه الأسس التي تكّون الأسرة:

أولاً: الالتزام الديني للزوجين: إن الالتزام بالشريعة الإسلامية يملأ القلب نوراً وخشية، ويجعل المؤمن يعمل بمقتضى الشريعة، ويغرس فيه أخلاقاً كريمة توطد صلات المودة بين الناس، فتجعل علاقتهم قائمة على الانسجام والتكامل لا على التنافر والتنازع، ولهذا نرى أن الزوجين الملتزمين بنهج الشريعة الغراء يسعيان بكل صدق واخلاص إلى تطبيق مبادئ هذا الدين وقيمه العليا على منهجهما اليومي وينعكس ذلك إيجابا على تكوين اسرتهما[٣].

---

[١] الأسرة المسلمة والرد عليها ما يخالف أحاكمها وآدابها ص٥٧.

[٢] ينظر: الإسلام والسلام المجتمعي لفاطمة الشهري ص٥٩٧.

[٣] ينظر: دراسات في علوم القرآن لمحمد بكر اسماعيل ص٣٢.

وهكذا نرى أن العلاقة الطيبة تنمو بينهما باستمرار، وتزدهر بعيداً عن كل ما يعكر صفوها، بل أن الفتور لا يجد في هذا الجدار المنيع ثغرة ينفذ من خلالها إلى حياتهما، وأن حرارة المودة تنبع من الإيمان الذي ملك عليهما السمع والبصر والتفكير، وهذا الإيمان في ازدياد مستمر يوماً بعد يوم.

فالأسرة التي تكون علاقات الزوجين فيها على هذا النحو، هي أسرة جديرة بأن تظللها السعادة الدائمة، وأن تكون مرتعاً خصباً لتربية الأولاد على الفضائل والمكارم، وبهذا تكون قد أدت رسالتها وحققت الهدف الأسمى من إنشائها، المتمثل بإمداد المجتمع بأفراد صالحين، وإعدادهم لتحمل المسؤولية، وليكونوا خلفاً صالحاً يرثون منهج أسلافهم الصالحين، وبذلك تدور رحى الحياة البشرية في الاتجاه الصحيح، وتسير قافلة الحياة على الطريق الآمن السوي، لتصل بعد أن تقطع المسافة المحددة إلى السعادة الأبدية[١].

وبالاتجاه الآخر نجد ان الأسرة التي لا تسير على نهج الشريعة الإسلامية تكون بعيدة كل البعد عن الظواهر المرضية التي تنشأ في العلاقات بين الناس، حيث تسود عليها الأهواء والأنانية بعيداً عن هدي الله وشرعه، ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى بيّن هذا الحال في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤] إن هذه المعاناة التي يعيشها كثير من الناس إن هي إلا صافرة إنذار تنبّه الغافل عن الحق؛ لأن يثوب على رشده ويعود إلى جادة الشرع الإلهي المسعد[٢].

ثانياً: اختيار الزوج الصالح: إن الأمور التي تراعى عند اختيار أحد الزوجين للآخر كثيرة وقد لخصها ﷺ في جانب الزوجة فقال ﷺ : "تنكح المرأة لأربع لمالها لحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[٣]

---

[١] ينظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام ص٢٤١.

[٢] ينظر: التفسير القيم لآبن القيم الجوزية ص٣٧٤.

[٣] الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه رقم٥٠٩٠، ٧/٧ .

ولا يخفى أن النبي ﷺ لم ينكر واحدة من هذه الأمور الثلاثة الأُول، فلكل منها دوره في إسباغ الراحة النفسية على كلا الزوجين، لكنها لا تقدم ولا تؤخر في بعث الهمّة والإرادة والتصميم على الوفاء بالحقوق التي لأحدهما على الآخر.

إن العامل الأساس الذي لابد منه في الزوجين هو عامل الدين والالتزام بأحكام دستور الله الخالد، وسنة المصطفى ﷺ، فهذا الالتزام هو الكفيل بإضفاء السعادة عليهما، لأنه سيطبع المواقف والأقوال والأفعال بطابع الحق، والحق هو مطلب كل مؤمن صحيح الإيمان(١).

وأما من جانب الزوج فقد لخصها ﷺ أيضا فقال ﷺ: " إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه، فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (٢). حيث أكد النبي ﷺ على هذا المعنى لأولياء المرأة باختيار الرجل المتدين الخلوق. فإذا راعى كلا الزوجين هذه الأمور نتج عنه أسرة قوية متماسكة.

ثالثاً: التعامل بالحسنى بين الزوجين في الإسلام:إن القاعدة الأساسية التي ينبغي أن تنطلق منها العلاقات بين الزوجين متمثلة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨] .فلكل واحد منهما حقوق، وعليه واجبات وينبغي أن يؤدي واجباته فلا يفرّط فيها، ولا يطلب زيادة على حقوقه متجاوزاً حدوده، أما الدرجة التي تميز بها الرجال على النساء هي درجة الإشراف والقوامة على شؤون الأسرة، وتحمّل المسؤولية المالية، وليست هذه درجة تشريف أو تمييز بين حقوقه وحقوقها، وهذه الدرجة هي التي أهّلت الزوج لأن يخاطب بأمر الله ويستودع أمانته سبحانه، حيث أمر الرجل قائلاً: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾ [النساء: ١٩] ، والمعروف هو كل ما عُرف حسنه ونفعه، ونقيضه المنكر،

(١) ينظر: شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، لمحمد علي الهاشمي ص٢٥٢ .

(٢) الحديث أخرجه: الترمذي في سننه رقم ١٠٨٤، ص٣/٣٩٤ .

وهو كل ما استنكر إثمه وضرره [1].

المطلب الثاني: أهم الحلول لمشكلات الأسرة في القرآن الكريم:

إن المشكلات الأسرية التي تحدث بين الزوجين في المجتمع كثيرة جداً، والشريعة الإسلامية جعلت لكل مشكلة علاج، وسأتناول بعض المشكلات الأسرية التي تحدث في المجتمع، مع علاجها على ضوء ما ورد في القرآن الكريم.

فالأسرة التي تسير في حياتها وسلوكها وفقاً لمنهج الله تعالى هي أسرة سعيدة مهما قلّت ذات يدها، وهي أبعد ما تكون عن الخلاف بين الزوجين، ولكن الالتزام المطلق بكل هذا المنهج، ربما لا يتيسر في بعض الأسر أو لدى بعض الأشخاص في بعض الظروف والأحوال، فإذا نشأ الخلاف بينهما فإن القرآن الكريم وضع منهجاً محدداً واضحاً، إذا ما طبّقه الزوجان على هذا الخلاف تلاشى بإذن الله وزال أثره، وعادت الحياة الزوجية بينهما إلى سابق عهدها من الوفاق والألفة.

أولاً: علاج مشاكل الكراهية والغضب: أحاط الإسلام الأسرة بكل ما يكفل لها السعادة والاستقرار، وتعهدها بوصاياه الخلقية وتدابيره القانونية من خلال إشعار الزوجين بمسؤوليتهما، وطلبه إليهما بما تقتضيه تلك المسؤولية من التعاون والتشاور والتناصح، وخصّ الزوج لرياسته وقوامته بمزيد من الوصايا، فطالبه بحسن الرعاية وإظهار قدرته وحنكته وإيمانه وصبره عند تقلب النفوس وهبوب رياح الضجر[2].

وقد حذر القرآن الكريم من الانسياق وراء مشاعر الكراهية ولفته إلى أنه لا ينبغي أن يحكّم المشاعر وحدها، بل يتقي الله في زوجته، ولا ينظر إليها بعين

---

[1] ينظر: التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي ٣٥٢/١ .

[2] ينظر: المجتمع والأسرة في الإسلام ص٧ .

السخط، فإن كره منها خلقاً رضي منها آخر، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩] ففي هذا النص الكريم اشارة إلى أمور مهمة ينبغي على الزوج أن يدركها ويتمعن بها، منها أن ينظر الزوج إلى الحياة الزوجية من جميع نواحيها لا من ناحية واحدة فقط، وهي البغض والحب، فينظر إلى مصلحة أولاده، وإلى نظام بيته، وإلى محاسن زوجته بدل أن ينظر إلى مساوئها[١].

ولهذا نجد ان الشريعة الإسلامية عالجت ثورة الغضب، ووضعت لها القواعد والأسس الكفيلة بتهدئتها وتسكينها، لأن ثورة الغضب إذا لم يتحكم فيها الإنسان، فإنه يترتب عليه من المشكلات العضال ما لا يعلم مداه إلا الله[٢]

فإذا بحثنا في القرآن الكريم نجد ان الله سبحانه وتعالى أمرنا بكظم الغيظ عند الغضب، والعفو عن الناس عند المقدرة، والدفع بالتي هي أحسن، لأن الحسنات لا تساوي السيئات، وكذلك الإعراض عن الجاهلين، وذلك حتى يسود السلام والأمن داخل المجتمع والمحبة والتآلف داخل الأسر، وجاء ذلك في آيات عديدة منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤] . وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤] . وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الشورى: ٣٧] .ويقول العلامة السعدي عن قوله ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ : قد تخلقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة، حتى إذا أغضبهم أحد بمقاله أو فعاله كظموا ذلك الغضب فلم

---

[١] ينظر: المجتمع والأسرة في الأسرة ص٧٥ .

[٢] ينظر: الوالدان حقوق وعقوق لعبد الله باجبير ص٣ .

ينفذوه، بل غفروه ولم يقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح، فترتب على هذا العفو والصفح من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم شيء كثير(١).

ثانياً: علاج النشوز:جعل القرآن الكريم للنشوز علاجاص ناجحاً من خلال مجموعة من الخطوات المتدرجة التي ينبغي اتباعاها لمواجهة هذه الحالة، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: ٣٤] ففي هذه الآية الكريمة منهجا متكاملا لكلا الزوجين لعلاج العصيان والتمرد.

فإن اشتكت الزوجة تغيراً في علاقتها مع زوجها، فالقرآن الكريم يأمرها أن تحاول إصلاح ما بينها وبينه بحكمتها وحسن تصرفها، قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ [النساء: ١٢٨] .وأما إذا أحسّ الرجل من زوجته تغيراً في السلوك والمعاملة والخلق، مما يجعله ينفر منها ويشعر تجاهها بمشاعر الكراهية، فإن كتاب الله يأمره أن يستر ذلك فلا يشيعه، وفي الوقت نفسه يشككه في هذه المشاعر ويصرف نظره إلى ما يرتضيه منها، ويبين له أنه لا يدري ما ادّخر الله له من الخير عندها، ويوجّه نظره إلى لزوم المعاشرة بالمعروف، حتى لو كره منها بعض المواقف، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩] فعلى الزوج أن ينزع من نفسه مشاعر الكراهية ويستبدلها بمشاعر المودة والتقدير للفضائل

(١) تفسير تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٦٧٠ .

التي بينهما لقوله تعالى ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧] .

فالله سبحانه وتعالى حثنا من خلال هذه النصوص القرآنية بالإسراع إلى العلاج للحيلولة دون وقوع النشوز، ولذلك عبّرت الآية بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ﴾ [النساء: ٣٤] ، وذلك يعني سرعة المبادرة بالعلاج.والعلاج سواء قبل وقوع النشوز أو بعده، لابد أن يمر بمراحل رسمها لنا القرآن الكريم، **وذلك فيما يأتي:**

١-**الموعظة:** إن المبادرة الأولى الموحية بأن الزوجة سائرة في طريق المخالفة والمغاضبة والاستعصاء يناسبها الخطوة الأولى، وهي خطوة النصح والإرشاد في رفق ولين، وتلك هي المذكورة في قوله ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ ، وفي هذه الخطوة يبادر الزوج زوجته حين يكون الخلاف مستمراً، أو على استحياء فينصحها نصحاً رقيقاً يستعمل فيه لباقته ويذكرها فيه بذكرياتها الجميلة، ويثني في تلطف على أخلاقها وأخلاق أسرتها[١].

٢-**الهجر في المضجع:** إذا لم تفلح الموعظة انتقل الزوج إلى طور آخر وهو هجرها في المضجع، وذلك بأن يوليها ظهره عند النوم، والهجر حركة استعلاء من الرجل على المرأة يبين لها فيه أنه قادر على الخروج عن اغرائها، وهو أسلوب من العقوبة يهز نفسية المرأة ويدفعها إلى مراجعة نفسها، وتصحيح أخطائها[٢]

٣-**الضرب غير المبرح:** إذا لم يفلح الوعظ ولا الهجر في المضجع سمح الإسلام بقليل من الإيذاء البدني عله يرد المتمردة إلى رشدها ورعاية بيتها وزوجها، وقد حدّد الفقهاء بأن يكون غير مبرح بحيث لا يكسر عظماً ولا يقطع لحماً، وأن يتقي فيه الوجه؛ لأن المقصود التأديب لا الإتلاف[٣].

---

[١]ينظر: قواعد تكوين البيت المسلم للدكتور أكرم رضا، ص٤٤٨ .

[٢] ينظر: المجتمع والأسرة في الإسلام ص٨١.

[٣] ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته للدكتور وهبة الزحيلي ٢٢٣/٩ .

ثالثاً: علاج العنف داخل الأسرة:

أولاً: العنف الأخوي: لقد حث الإسلام على الرفق ونبذ العنف بصورة عامة، والعنف الأخوي بصورة خاصة وقد تناول هذه الأحكام منذ آلاف السنين، منذ ظهور أول أخوَّة على الأرض في قصة قابيل وهابيل ، وقد بينها الله بقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾ [المائدة: ٢٧-٣١]

ولعل الباعث الأهم والأبرز في العنف هو آفة الحسد ، حيث بينت القصة أن الحسد كان سبب أول جريمة قتل في البشر، وأنه رأس المفاسد والمعايب والرذائل في المجتمع، فالأمة المتحاسدة ممزقة متعادية متباغضة لا تجتمع على خير ولا تلتقي على فضيلة، ولا تتعاون على بر وصلاح وتقدم، وكل ذلك يؤدي إلى الضعف والهوان وعبودية أفرادها لمن سواهم (١)، وقد أجمع المفسرون على أن الدافع لقتل قابيل هابيل هو الحسد (٢).فالعنف الأخوي، وهو الأذى والاعتداء على الآخرين داخل الأسرة، قد بينته الشريعة

---

(١) ينظر: التفسير المنير: ١٥٧/٦.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١ / ٤٦٩)، تفسير عبد الرزاق (٢ / ١٤)، جامع البيان ت شاكر (١٠ / ٢٠٨)، الهداية الى بلوغ النهاية (٣ / ١٦٧٦)، الوجيز للواحدي (١ / ٣١٦)، تفسير السمعاني (٢ / ٢٩)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١ / ٦٢٤)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٤ / ٢٤٠)، اللباب في علوم الكتاب (٧ / ٢٨٨).

الإسلامية، ووضحته غاية التوضيح ، ولا تجد اختلافاً لدى فقهاء العصر في أن العنف الأخوي يعتبر أمرا محرما. ولا تقتصر خطورة العنف الأخوي على المعنَّف الذي مورس العنف ضده، بل تتعدى ذلك الى المعنِّف نفسه ومن شاهده.

وأما علاج العنف الأخوي فقد يتبين من خلال معرفة الأسباب المؤدية للعنف الأخوي:

١-الالتزام بتعاليم الإسلام، والأخذ بتعاليمه السمحة وتطبيقها في الحياة الأسرية، وجعل الإسلام منهج عملي، مع الفهم الصحيح لتعاليمه.

٢-دور الأسرة في معالجة العنف الأخوي، فقد يقع على كاهلها العبء الكبير، حيث إنها مطالبة بعدة مسؤوليات، وفي عدة مجالات لحماية أفرادها من العنف.

٣-التوعية بالإرشاد لبيان خطورة العنف بإقامة الندوات والمؤتمرات التي تبين حقيقة العنف.

ثانياً: العنف بين الأبناء والآباء:

إذا وقع العنف بين الأب والأبن أو بين الأبن وأمه، فإن كان من قبل الأبن تجاه أبيه، فقد رسم القرآن الكريم كيفية استرضاء الأبن لأبيه وأمه في طريق واحد، وهو سلوك طريق الإحسان إليهما،

قال تعالى في كتابه الكريم تبيناً لهذا الأمر : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

هذه الآيات الكريمة مع وجازتها فيها العلاج التام لو أديت كما يراها أهل العلم، وهي على **مراحل**:

المرحلة الأولى: كف الأذى عنهما مهما قل شأنه، ولو كان مجرد التأفف، وقد نبّه المولى سبحانه بالنهي عن التأفف ليشمل النهي عما هو أعلى منه من ألوان الأذى.

المرحلة الثانية: استعمال حسن الخلق معهما، وذلك من خلال حسن التخاطب معهما بصوت لطيف رقيق هادئ.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة خفض الجناح للوالدين، وذلك بإظهار حاجته إليهما، وأن النجاح الذي يلقاه في حياته سواء في أسرته، أو في عمله هو ببركتهما، وأنهما يمثلان حصن الأمان له ولأسرته[1]

[1] ينظر: المجتمع والأسرة في الإسلام ص٨٣ – الزواج في الشريعة الإسلامية للدكتور علي حسب الله ص٢٠٤.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آلة وصحبه وسلم. فبعد هذه الرحلة العطرة والسيرة المباركة التي قضيتها مع هذا البحث والتي توصلت فيه إلى النتائج التالية:

١- الأسرة هي الوحدة الأولى للمجتمع وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً، ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه.

٢- إن المتتبع لآيات القرآن الكريم في كلامها عن أصول تكوين الأسرة، يجد أنها فصّلت في نشأة الأسرة، من خلال منظومة تشريعية دقيقة ومفصلة من ذلك الآيات التي تناولت مشروعية الزواج وتحريم الزنا وضرورة حفظ الفروج وغيرها من الآيات.

٣- الأسرة كيان مقدّس في الشريعة الإسلامية، وهي اللبنة الصالحة الأساسية في بناء المجتمع الإنساني السليم، ولأجل ذلك جعل الإسلام لبنائها الأولية، ولهذا نجد كثيراً من الضوابط التي تسهم في تكوين الأسرة الصالحة في ضوء القرآن الكريم.

٤- من الضوابط التي تتكون منها الأسرة الالتزام الديني للزوجين، واختيار الزوج الصالح، وأساس التعامل بين الزوجين هو الإسلام، وقد عالج جميع الخلافات الزوجية.

٥- المشكلات الأسرية التي تحدث بين الزوجين في المجتمع كثيرة جداً، والشريعة الإسلامية جعلت لكل مشكلة علاج.

٦- من هذه المشاكل: علاج مشاكل الكراهية والغضب، وعلاج نشوز الزوجين، وعلاج العنف بين الآباء والأبناء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
١. الأسرة المسلمة والرد عليها ما يخالف أحاكمها وآدابها، لكمال الدين عبد الغني المرسي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
٢. الإسلام والسلام الاجتماعي، لفاطمة بنت فائز بن حسن الشهري، ورقة بحثية مقدمة لمؤتمر الإسلام والسلام، المملكة العربية السعودية، جامعة الدمام.
٣. التفسير القيم (تفسير القرآن الكريم) لمحمد بن أبي بكر بن أيوب أبن القيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ ابراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
٤. التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، ط١٠، ١٤١٣هـ
٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٦. الجامع الصحيح (سنن الترمذي) لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٧. دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر اسماعيل، دار المنار، ط٢، ١٤١٩هـ.
٨. الزواج في الشريعة الإسلامية، لعلي حسب الله، دار الفكر العربي.
٩. شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، لمحمد علي الهاشمي، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
١٠. صحيح البخاري، لمحمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
١١. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج ابو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
١٢. علم الأخلاق الإسلامية، لمقداد يالجن محمد علي، دار علم الكتب، الرياض، ط١
١٣. الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر.دمشق، سورية، ط٤
١٤. قواعد تكوين البيت المسلم، لأكرم رضا.
١٥. المجتمع والأسرة في الإسلام، لمحمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١ هـ.
١٦. نظام الأسرة في الإسلام، لمحمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، عمان، ط٢، ١٩٨٩م.
١٧. الوالدان حقوق وعقوق، لعبد الله باجبير، صحيفة الاقتصادية الإلكترونية، بتاريخ ٢٠١١/٢/٢٣م.